مذكرة مقدمة الى مؤتمر العمال الزراعيين لدول البحر الابيض المتوسط : اوضاع العمال الزراعيين الفلسطينيين

اننا اذ نتقدم بمذكرتنا* هذه الى مؤتمركم الكريم نتوجه بأحر التحيات الى اعضاء المؤتمر وبشكرنا الى الهيئة التحضيرية ...

ان المدخل الاساسي لفهم اوضاع ومشاكل العمال الزراعيين الفلسطينيين ، هو بوضعها في الاطار العام لوضع الطبقة العاملة الفلسطينية والشعب الفلسطيني عموما ، من حيث كونه شعبا يعاني من مأساة مستمرة متفاقمة منذ اكثر من نصف قرن متعلقة بحرمانه من حق تقرير مصيره بمحض ارادته وحريته والعيش في أرضه ووطنه . فلقد تكالبت قوى الاستعمار الاوروبي بانواعها لتحول الشعب الفلسطيني من شعب له كيانه الاجتماعي — الاقتصادي — السياسي الواحد الى شعب يتواجد نصفه تحت الاحتلال المباشر ، ويعاني نصفه الاخر من التشرد واللجوء . والواقع أن مسار وضع الفلاحين والعمال الزراعيين الفلسطينيين منذ نصف القرن الماضي وحتى يومنا هذا يشكل الصورة المصغرة والمقدمات الاولية لمسار وضع كل الشعب الفلسطيني ، فقضيتهم هي قضية الارض ، وان قضية الارض هي بالذات قضية الشعب الفلسطيني كله .

وهكذا ، فان مشاكل عمال الزراعة الفلسطينيين لا تعالج في الوقت الراهن من خلال معالجة مشاكل وقضايا طبقة معينة من السكان لها علاقاتها وتناقضاتها المختلفة مع الطبقات الاخرى ضمن حدود البلد الواحد السياسية والاقتصادية . فأوضاع العمال الزراعيين الفلسطينيين لا تناقش ولا يتم فهمها فهما معمقا — كما هو الحال في البلدان الاخرى — عن طريق تبيان وكشف علاقات القطاع الزراعي بالاقتصاد الوطني في البلد المعني واوضاع شرائح هذا القطاع ومختلف العوامل المحيطة به (درجة تطور وسائل الانتاج الزراعي، الملكية الزراعية وتوزيعها ، وسائل وطرق رفع انتاجية العامل الزراعي ، مشاكل تصريف وتسويق المنتوجات الزراعية ، متطلبات العمل النقابي لعمال الزراعة ، الاصلاح الزراعي والجمعيات التعاونية الريفية ، رفع مستوى حياة العامل بما يتناسب مع مستوى معيشة الطبقات الاخرى في المجتمع ، حل التناقض بين الريف والمدينة ، صهر الزراعة صهرا عصريا ، اشتراكيا ... الخ) . ذلك لان النتيجة المباشرة الاولى لاحداث نصف القرن الماضي في فلسطين تجسدت في سلب الشعب الفلسطيني من الارض ، وسيلة الانتاج الاولى واجلائه عنها ، بما في ذلك اجلاء العمال الزراعيين الفلسطينيين ، وهذا جانب يتميز به الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عن مثيليه في افريقيا مثلا . واذن ، فدراسة وضع العمال الزراعيين الفلسطينيين ومتابعته مع الزمن يتطلب ليس فقط رؤية الخلفية التي نشأوا فيها وهي خلفية تتشابه مع معظم بلدان العالم الثالث التي ربطت عنوة بالسوق الرأسمالية العالمية منذ اواخر القرن الماضي ، وجرى تغيير اساليب الانتاج في اريافها وزراعتها وعلاقاتها الزراعية ، بل يتطلب ايضا رؤية السمات الخاصة لفلسطين والمتمثلة بسلب شعب كامل من أرضه واجلائه عنها . وقد بدأت عملية السلب هذه بسياسة استعمارية مزدوجة ادخلها الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى ، فاتحا الباب في الوقت نفسه امام المستعمرين المستوطنين الصهاينة ، ثم تتوج عام ١٩٤٨ بقيام دولة اسرائيل المتوسعة دائما والتي تكرس حتى يومنا هذا سلب اراضي شعب فلسطين العربي .

التحولات في الزراعة الفلسطينية قبل الاحتلال البريطاني :

كان الطابع العام الغالب في الزراعة العربية الفلسطينية حتى اوائل هذا القرن هو الانتاج الطبيعي او الانتاج للاستهلاك الذاتي ، وكانت وسائل الانتاج الزراعي بدائية تعتمد بشكل رئيسي على القوى الحيوانية وليس على القوى الميكانيكية (الآلية) . اما علاقات الانتاج فكانت في غالبها علاقات بين منتجين صغار احرار مع بعض ملامح

---

* مذكرة اعدها جميل هلال ، الباحث في قسم الدراسات الفلسطينية في مركز الابحاث ، وقدمها للاتحاد العام لعمال فلسطين في مؤتمر العمال الزراعيين لدول البحر الابيض المتوسط الذي عقد في نوفمبر ١٩٧٢ .